المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:08، العدد:02 (2024)، ص197-211

المجتمع الفرنسي والثورة الجزائرية (1954–1962)

ترجمة مقال كانينسكيا غالينا نيكولاييفنا (Канинская Галина Николаевна):

المجتمع الفرنسي والثورة الجزائرية (1954–1962)

French Society and the Algerian Revolution (1954–1962)
Translation of Kaninskaya Galina Nikolaevna's article: French Society and the Algerian Revolution (1954–1962)

يعقوب حيمي
جامعة تيزي وزو (الجزائر)
yakoub.himmi@ummto.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2024/07/29
تاريخ القبول:
2024/09/15

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الحرب الفرنسية
- ✓ حرب العرائض
- ✓ الجمهورية الخامسة
- ✓ مناهضو الاستعمار

الملخص:

يتناول المقال رد فعل المجتمع الفرنسي على الثورة الجزائرية 1954–1962، التي اندلعت في فترة الحكومات الفرنسية الرابعة، مما ساهم إلى حد كبير في سقوطها. على إثر نهاية الجمهورية الرابعة تم تعيين الجنرال شارل ديغول على رأس السلطة الفرنسية على أعقاب تمرد المستعمرين المتطرفين في الجزائر، لم يقم ديغول بإنشاء وقيادة الجمهورية الخامسة الجديدة فحسب، بل في فترة حكمه تحصلت الجزائر على الاستقلال. كما يتم في هذا المقال عرض مواقف مختلف الأحزاب السياسية وقادتها، وكذلك المواطنين العاديين خلال سنوات الحرب. ويتتبع تطور آراء الرأي العام الفرنسي نحو الاعتراف باستقلال الشعب الجزائري. كما يتم إيلاء اهتمام خاص لموقف المثقفين الفرنسيين، الذين أصبحت الحرب الجزائرية في كثير من النواحي حدثا تاريخيا يظهر تأثيره على المجتمع الفرنسي الحديث.

Article info

Received:
29/07/2024
Accepted:
15/09/2024

Key words:
- ✓ -French war
- ✓ war of petitions
- ✓ Fifth Republic
- ✓ anti-colonialists

Abstract:

The article examines the reaction of French society to the Algerian War of 1954-1962, which was unleashed by the French governments of the Fourth Republic, which largely contributed to the fall of this republic. Having come to power on the wave of the rebellion of ultra-colonialists from Algeria, de Gaulle not only created and headed the new Fifth Republic, but also granted independence to Algeria. The positions of various political parties and their leaders, as well as ordinary citizens during the war are presented. The evolution of the views of French public opinion towards the recognition of the independence of the Algerian people is traced.

مقدمة

بداية من 1 نوفمبر 1954 اندلعت الثورة الجزائرية التي اعتبرت آخر أعظم دراما وطنية في العالم[1]، حيث وضعت حدا "**لفكرة الإمبراطورية**" التي ألهمت الفرنسيين منذ ثورة 1789[2]. كان هذا الحدث سببا في بداية التحول في فرنسا، حيث بدأت تظهر بوادر نهاية الجمهورية الرابعة وبداية الجمهورية الخامسة، وبسياسة هذه الأخيرة انبثقت أزمة ماي الأحمر 1968 (الأزمة الاجتماعية في فرنسا). كما غيرت الثورة الجزائرية بشكل كبير النظام البيئي الاجتماعي والثقافي للبلاد؛ وأجبرت الحرب المجتمع الفرنسي على التفكير في هويته وسيادته؛ وبرزت إلى الواجهة القيم الجمهورية التقليدية وهي الحرية، والمساواة، والأخوة؛ كما أن النخبة المثقفة وجدت نفسها وشخصيتها في خضم هذه الثورة وما تلتها من أحداث، ودخلت على حد تعبير المؤرخ الفرنسي الشهير جان فرانسوا سيرينيلي، في "**حرب العرائض**" ضد السلطة الحاكمة.

1. أسباب ودوافع الثورة الجزائرية ورد فعل الحكومة الفرنسية

1.1. التفرقة الاجتماعية والسياسية في الجزائر ودورها في اندلاع الثورة الجزائرية

ظهرت أسباب الثورة الجزائرية مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية. لكن جذورها تعود إلى سنوات سابقة، إحداها كانت مكانة الجزائريين داخل المجتمع الفرنسي. حيث تظهر هذه المكانة من خلال تقسيم الجزائر إلى ثلاث عمالات: الجزائر، قسنطينة، ووهران، وكان يدير أمور الأهالي وزير الحربية الفرنسي وما يتعلق بأمور المستوطنين كانت تدار من طرف مجلس يتكون من عامل العمالة وثلاثة أعضاء، زيادة على هذا المجلس كان هناك مجلسا منتخبا هو المجلس العام وكان بمثابة برلمان مصغر للمعمرين. وقسم المجتمع الى فئتين من المواطنين يعيشون في بلد واحد (الجزائر)، فالأهالي الذين يمثلون النسبة الكبيرة بدون حقوق وأوروبيون وهم الفئة الأصغر بكل الحقوق.

كان هؤلاء الأوروبيون الذين كانوا يلقبون بالفرنسيين يتمتعون بحقوق مدنية واسعة، منها الحق في المشاركة في جميع الانتخابات التي تجرى بفرنسا والجزائر. هؤلاء الفرنسيون القاطنون بالجزائر الذين بلغ عددهم حوالي المليون نسمة، "**نتاج قرون من الاختلاط مع سكان بلدان البحر الأبيض المتوسط ، وخاصة الإيطاليين والإسبان، وكذلك من دول أوروبية أخرى كألمانيا وسويسرا**". الذين استقروا في المنطقة خلال الاستعمار الفرنسي. وانضم إليهم 130 ألف يهودي الذين شعروا بأنهم فرنسيون[3]. ومع مرور الوقت بدأ يطلق على الفرنسيين الموجودين بالجزائر اسم "**الأقدام السوداء**" للتفريق بينهم وبين الفرنسين الأصليين القاطنين بفرنسا[4]. من خلال الوثائق الفرنسية الرسمية نجد أن في فترة الثورة الجزائر كان سكان الجزائر يقسم الى قسمين القسم الأول من "**الفرنسيين من أصل أوروبي**"، في حين كانت هناك قسم ثاني يمثله أكثر من 9 ملايين مسلم محرومين من جميع حقوقهم السياسية، بالإضافة إلى المصطلحات الرسمية التي تطلق على هذه الفئة من السكان في الحياة اليومية حيث سموا "**بالسكان الأصليين**" أو "**المسلمين**" أو "**العرب**"[5].

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بالطبع، كان لدى الأوروبيين والجزائريين اتصالات مع بعضهم البعض، ولكن ليس في المجال الشخصي مما جعل عالم الاجتماع بيير بورديو سنة 1958 يسمي المجتمع الذي تطور في الجزائر بالمجتمع الطبقي، والفرنسيين هم ممثلو الطبقة العليا[6]. في عام 1947، صوتت الجمعية الوطنية لصالح قانون جديد للجزائر، مما أدى إلى تحسين وضع السكان الجزائريين إلى حد ما، على الرغم من أنه لم يزيل عدم المساواة، وبموجب النظام الأساسي تم إحداث مجلس مختلط منتخب يتكون من 120 نائبا بصلاحيات محدودة للغاية، خاصة في مجال المالية. علاوة على ذلك، انتخب 9 ملايين مسلم 60 نائبا، وانتخب مليون فرنسي 60 نائبا أيضا بنفس عدد النواب رغم قلت عدد المستوطنين. وفي الانتخابات البلدية عام 1947، حقق حركة انتصار الحريات الديمقراطية نجاحاً بدعم السكان الجزائريين. ومع ذلك، قامت السلطات الفرنسية بتزوير نتائج الانتخابات بشكل صارخ، ونتيجة للتزوير تحصلت حركة انتصار الحريات الديمقراطية على 9 ممثلين و8 من الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري. لم يمر تزوير الانتخابات في الجزائر مرور الكرام، بل أدى إلى نمو الوعي الوطني بين الجزائريين. أما في فرنسا، لم يروا سوى القومية في تجليات الحركة الوطنية في الجزائر، ولم يلاحظوا ارتباطها وعزمها على إنهاء الاستعمار كسائر المستعمرات حول العالم. لذلك لم تكن أي حكومة فرنسية جاءت بعد الجمهورية الرابعة قدمت تنازلات سياسية كعام 1947.

2.1. ردود فعل فرنسا تجاه الثورة الجزائرية: من القمع إلى التصعيد

عندما اندلعت الثورة الجزائرية في الأول من نوفمبر 1954، كان رد فعل وزير الداخلية آنذاك فرانسوا ميتران، فوريا وقاسيا للغاية، حيث قام باعتقال العديد من المتمردين ورفض أي مفاوضات معهم. وفي حديثه يوم 12 نوفمبر من نفس العام في الجمعية الوطنية بالاشتراك مع رئيس الوزراء بي مينديز فرانس، قال عبارة أصبحت مقدسة بالنسبة للمستعمرين الفرنسيين: "**الجزائر فرنسية**"[7]. في البداية لم يكن الوضع يبدو خطيرًا جدًا بالنسبة للحكومة الفرنسية، حيث أن جبهة التحرير الوطني التي تمردت في يوم ذكرى الأموات عام 1954، لم تكن معروفة على نطاق واسع، ولم تتم الموافقة على أفعالها من قبل غالبية القادة الوطنيين الجزائريين. لذلك رأت أنه من غير المناسب لها أن تجري مفاوضات مع مثل هذه القوة الغير المستقرة والغير معترف بها. في الوقت نفسه كانت السلطات في العاصمة الفرنسية مقتنعة بأن: "**أحداث الأول من نوفمبر تشهد على مرض الجزائر الذي لا يمكن علاجه الا من خلال الإصلاحات الواسعة التي تصب في صالح الأهالي والمستوطنين**"[8]. لهذا الغرض في يناير 1955، تم تعيين جاك سوستيل حاكما عاما جديد للجزائر، والذي اشتهر بأنه ليبرالي قادر على فهم التفكير غير الغربي لكونه (مختصا في علم الأعراق).

وصل جاك سوستيل إلى الجزائر محاطًا بفريق من الليبراليين، حيث تم استقباله بشكل سيئ للغاية من قبل المستوطنين الأوروبيين الذين شككوا في نجاح الإصلاحات التي جاء بها، لكن في الجهة الأخرى تعيينه أحيى آمالًا كبيرة بين المثقفين العرب. لم يرغب المستوطنون في رؤية سوستيل حاكما للجزائر وضد بقائه في منصبه، وتعتبر هذه القضية من الأسباب التي أدت الى سقوط حكومة بيار منديس فرانس في 5 فبراير 1955،

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وتعيين إدغار فور الذي عزز سياسة القمع ضد جبهة التحرير الوطني، حيث فرض حالة الطوارئ في جوان 1955 ولم يسمح بعد ذلك بأي إمكانية لإجراء مفاوضات مع الثوار. وعندما ناقش إدغار في الجمعية الوطنية الفرنسية مسألة منحه صلاحيات الطوارئ على الجزائر، أعلن أن الدولة الجزائرية غير موجودة. وقد حظي بدعم كبير من الرئيس الفرنسي رينيه كوتي قائلاً: "**في الجزائر الوطن الأم في صراع وخطر**"، ووعد إدغار فور بالسعي من أجل: "**التكامل السياسي التدريجي في الجزائر، حيث يتم التوفيق بين الاختلافات الدينية والثقافية واحترامها**"[9].

في الواقع أصبح الوضع في الأراضي الجزائرية متوترا بشكل متزايد هذا ما أدى "**بالفرنسيين من أصل أوروبي**" بمطالبة الحكومة باتخاذ إجراءات أكثر جدية لإحلال النظام في البلاد. لكن في ظل حكم إدغار فور لم يتمكن من تحقيق ذلك، ففي الكلية الأوروبية أثناء اجتماع الجمعية الجزائرية، سُمعت أصوات ضد سياسة التخلي الذي يمارسها إدغار فور وضعف أداء الحكومة الذي خيب أمالهم، وتم إدانة أخطاء الباريسيين الذين كان يُنظر إلى تكتلهم على أنه تكامل سياسي سابق لأوانه. رغم ذلك في مارس 1956 تحصل إدغار فور مرة أخرى على صلاحيات جديدة من الجمعية الوطنية الفرنسية فيما يتعلق بالسياسة الفرنسية بالجزائرية، وفي 11 أبريل 1956 بدأت حكومته بالتصعيد ضد الثورة الجزائرية من خلال إرسال المجندين بانتظام إلى الحرب. تقريبًا جيل كامل من الشباب الفرنسي الذين يبلغون من العمر 20 عامًا شاركوا في الحرب في الفترة الممتدة من 1955–1962، وأصبح يعرف باسم جيل الجبل. من ناحية أخرى بسبب السياسة القمعية المتبع أصبح المجتمع الجزائري متطرفا، حيث صرح 61 نائبا مسلما إن فكرة التكامل السياسي الجزائري عفا عليها الزمن، وبعدها بدأت الفظائع من كلا الجانبين، ففي الفترة الممتدة بين 20–21 أوت 1955 في شمال قسنطينة، قتل الثوار 72 فرنسيًا و51 جزائريًا مواليا لفرنسا. ورداً على ذلك قتل الفرنسيون 1237 جزائريا بريئاً, [10] وفي المجمل فقدت فرنسا نحو 25 ألف مجند في الجزائر[11].

إلى جانب تعزيز الوجود العسكري في الجزائر، شنت حكومات الجمهورية الرابعة منذ فبراير 1956 حملة اعلامية قوية دفاعًا عن فكرة الجزائر الفرنسية. على سبيل المثال، عبر غي موليه، في برنامج إذاعي يوم 26 مارس 1956، عن قناعته الراسخة بأنه: "**لا توجد فرنسا بدون الجزائر، كما لا توجد جزائر بدون فرنسا**"[12]. إلا أنه خلال سنوات الجبهة الجمهورية أصبح واضحا أن المسألة الجزائري التي ظهرة للوجود خلال القرن التاسع عشر لقيت الإجماع الوطني، ولم يثير أي شك لدى الفرنسيين بنهاية وجودهم بها عام 1954، لقد اكتسبت الحرب في الجزائر بشكل متزايد طابعًا غير جزائري –فرنسي، بل حربًا فرنسية–فرنسية، مما أدى إلى تقسيم المجتمع إلى قسمين: مناهضو الاستعمار والمستعمرون المتطرفون، أو "**المتشددون**".

باختصار فقد دعا القسم الأول إلى فتح مفاوضات فورية مع المتمردين، بما في ذلك جبهة التحرير الوطني، في حين رأى القسم الثاني أن ملكية الجزائر لفرنسا غير قابلة للتفاوض، ودفاعًا عن الجزائر الفرنسية أعلنوا أنفسهم مؤيدين لوحدة الجمهورية وعدم قابليتها للتجزئة، وأعربوا أيضًا عن أملهم في أن يكون هذا الدفاع الفرصة

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الأخيرة لفرنسا للحفاظ على عظمتها في مواجهة القوة المتنامية كالولايات المتحدة [13]. وكان الخط الرئيسي لتطور الوضع يسير في اتجاهين: من ناحية، كان معسكر أنصار الجزائر الفرنسية يتقلص تدريجياً، الأمر الذي دفع بمن بقي في صفهم إلى التحرك اليائس في مواجهة تهميشهم المتزايد في المجتمع، لإنقاذ الموقف أنشأ جاك سوستيل "**اتحاد إنقاذ وتجديد الجزائر الفرنسية**"، وكان هدفه توحيد كل الفرنسيين الذين يريدون محاربة الانهزامية وروح التخلي عن الجزائر، بغض النظر عن الدين والآراء السياسية. بصفة رسمية أعلن هذا الاتحاد نفسه منظمة غير سياسية. [14] وفي مارس 1957 نشر قائمة أعضاء هذه المنظمة التي تضمنت أسماء أكثر من 200 شخصية فرنسية (برلمانيين وكبار المسؤولين والصناعيين وأساتذة الجامعات والجنرالات ورجال الدين).

2.تأثير التحولات الفكرية للشيوعيين والاشتراكيين على المسار السياسي الفرنسي في الجزائر

1.2. التحولات الفكرية للشيوعيين تجاه الثورة الجزائرية

ينبغي التأكيد على ظرفين مهمين في القضية الجزائرية: ففي عام 1956، لم يكن أحد في فرنسا يفكر في استقلال الجزائر، إلا بعض السياسيين الذين يفكرون عكس هذه الفكرة، ومن بين هؤلاء السياسيين نجد ممثلو القوى اليسارية، وفي الطليعة الحزب الشيوعي الفرنسي الذين يؤيدون بشكل أساسي المفاوضات مع الجزائريين، الذين كانوا من أوائل الأحزاب التي دعمت شعار استقلال الجزائر. وفي جوان من نفس العام، امتنع النواب الشيوعيون عن التصويت على مسألة منح الثقة لغي موليه للاستمرار في حكم الجزائر، وفي شهر جويلية انعقد المؤتمر الرابع عشر للحزب الشيوعي، والذي أثير فيه موضوع حرب الجزائر لأول مرة. حيث قدم الأمين العام موريس توريز تقريرا حول هذه القضية، أقر فيه بحقيقة وجود الأمة الجزائرية ورغبتها في الحرية الوطنية[15]. كما يظهر أحد الباحثين الفرنسيين المشهورين في التاريخ جان جاك بيكر، أن التحول نحو الاعتراف بالأمة الجزائرية من قبل قيادة الحزب الشيوعي تم إعداده من خلال منشورين لمستشار الاتحاد الفرنسي، تم نشرهما عشية المؤتمر. أحدهما – مقال "**الاعتراف بالأمة الجزائرية لمصلحة فرنسا**" نُشر في المجلة النظرية للحزب الشيوعي "**دفاتر الشيوعية**"، وظهر الآخر في شكل كتاب منفصل بعنوان "**واقع الأمة الجزائرية**"، وكان من المفترض أن يكون كلاهما بمثابة دليل على العمل الذي يقوم به الشيوعيين العاديين من أجل استقلال الجزائر، كما الذين نظموا في نفس السياق اجتماعات عديدة في جميع أنحاء البلاد تحت شعار "**من أجل السلام في الجزائر**". يشار إلى أنه في أبريل 1956 عند الإجابة على سؤال حول ما إذا كان يستحق البدء في المفاوضات مع المتمردين من أجل منح الاستقلال للجزائر، أعطى نفس العدد من الفرنسيين 39٪ إجابات إيجابية وسلبية على حد سواء، و22٪ لم يعبروا عن آراءهم، ثم في يوليو من نفس العام عندما توقف الحزب الشيوعي الفرنسي عن دعم غي موليه، كان 45% من المواطنين يؤيدون مثل هذه المفاوضات، وعارضها 23%، واقترح 12% حلولاً أخرى و20% لم يكن لديه فكرة واضحة [16].

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

2.2. تحول المواقف الاشتراكية تجاه الثورة الجزائر

كتب المؤرخ الفرنسي مارك سدون أن الثورة الجزائرية أجبرت الاشتراكيين على التفرق بين المبادئ والسلطة والذاكرة التاريخية[17]. ويفسر الوضع الذي وصل اليه الاشتراكيون أنه جاء تجسيدا لعقيدة حزبهم التي تلتزم بمعارضة الاستعمار. في الوقت نفسه، كان أعضاء منظمة المجموعة الفرنسية للعمال الدوليين SFIO مؤيدين للأطروحة القائلة بأنه في ظل وجود المستعمرات، فإن فرنسا لها دور في نشر الحضارة في المناطق التابعة لها، مما سيسمح لهم بالحصول على السيادة في الوقت المناسب. لذلك كان الاشتراكيون ضد تواجد القومية الجزائرية معتبرين إياها حركة رجعية قمعية تهدد استقلال الفرد والحرية والمساواة مقارنة برسالة المستعمر الفرنسي الذي يدعو للعلمانية والإنسانية. بين كل هذا، في مؤتمر صيف 1956 تفككت وحدة معارضي استقلال الجزائر، وظهور مجموعة صغيرة من المندوبين الذين رأوا وجود أمة جزائرية وظهور بوادر دولتها، وطرحوا فكرة تطبيق النظام الفيدرالي للاحتفاظ بالجزائر كمقاطعة فرنسية. وفي الخطاب الذي ألقته المعارضة للمسار الرسمي، لقيادة المجموعة الفرنسية للعمال الدوليين SFIO برئاسة غي موليه يمكن للمرء أن يرى محاولة الاشتراكيين لإيجاد مخرج ثالث بين الرأسمالية والشيوعية لحماية مصالح فرنسا بالجزائر. لذلك كتب جاك فرنسوا سيرينيلي، في المجموعة الفرنسية للعمال الدوليين SFIO أنه كان هناك علاقة متوترة بين جيل غي موليه والجيل الجزائري في تلك الفترة [18]. إلا أن قيادة الحزب دافعت بقوة عن فكرة الجزائر الفرنسية، وفي نفس السياق كتب مارك سدون المذكور سابقًا، وكذلك المؤرخ جاك جوليار، واللذان حملا المسؤولية الفردية لغي موليه عن اندلاع الحرب في الجزائر.

3.2. تطور المواقف الفرنسية تجاه الاستعمار في الجزائر (1957-1958)

خلال 1957-1958 تجدد المعسكر المناهض للاستعمار من قبل بعض ممثلي أحزاب الوسط الراديكاليين والحركة الجمهورية الشعبية، رغم أنه من الضروري هنا التحفظ على أن الدافع لانضمامهم إلى هذا المعسكر كان انتقاد فقط لأساليب السياسة الفرنسية في الجزائر من طرف حكومة غي موليه. ومن عجيب المفارقات أن لهجة النقد حددها مينديز فرانس الذي بدأت حكومته الحرب في الجزائر. مع ذلك في ماي 1956 غير سياسته تجاه القضية الجزائرية من مستعمر الى مناهض للاستعمار بهذا البلد، بعد أن ترك طوعا حكومة الجبهة الجمهورية بسبب الخلاف مع سياستها الجزائرية، ذكر أنه بالتزامن مع تدابير استعادة النظام وضمان حماية مصالح المواطنين الفرنسيين في الجزائر، ينبغي إجراء إصلاحات إدارية واقتصادية واجتماعية وثقافية تم تنفيذها في أقرب الآجال. وفي مؤتمر أكتوبر 1956 [19] حدث انقسام في الحزب، فمعارضو بيير مينديز فرانس الراديكاليون الموالين لموليه اجتمعوا حول موريس. واستمر المندسيون في انتقد جميع حكومات الجبهة الجمهورية وسياساتها بالجزائرية حتى سقوط الجمهورية الرابعة.

تطور الوضع بشكل أقل دراماتيكية في المعقل الرئيسي للسياسة الاستعمارية الممثلة في الجمهورية الرابعة، تحت قيادة حزب الشعب الجمهوري (MRP)، ومن أبرز قادته: جورج بيدو، الفريد كوست فلوريت وغيرهم

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الذين يمتلكون موقع قوة في الجزائر [20]. ومع ذلك بحلول عام 1956 كان جزء من الجمهوريين، الذين يخشون الانجرار إلى مغامرة مماثلة لما حدث في الهند الصينية بالجزائر، وللوقوف ضد هذا الهاجس اتحدوا حول بيير فليملين ودافعوا عن التدابير السياسية التي اقترحها مينديز فرانس. كان الحزب الوحيد الذي لم تكن فكرة الدفاع عن الجزائر الفرنسية بالقوة تثير أي شك لديهم هو حزب المركز الوطني للمستقلين والفلاحين (NCNC). قادتها هم الأمين العام روبرت دوشيت، أنطوان بيناي، بول رينود وآخرون، بالإضافة إلى الأعضاء الثانويين الذين كان لهم تقليديًا خاص بالدفاع عن الإمبراطورية الفرنسة[21]. ومع ذلك، وجب الأخذ بالاعتبار بيان شارل روبير أجرون الذي نص على أن حرب الجزائر كانت حربا سياسية، ولم تلعب فيها العمليات العسكرية دورا حاسما[22]. ويجب أن نضيف أن الطرف الاساسي في القتال ضد هذه الحرب لم يلعبه السياسيون، بل لعبه الرأي العام الفرنسي، وعلى رأسهم المثقفون الفرنسيون. كما أكد المتخصصون في التاريخ والنخبة الفكرية أمثال جاك فرنسوا سيرينيلي وجان بيير ريو، ويؤكد هذا الأخير بأن الحرب في الجزائر أصبحت بالنسبة له لحظة مهمة، وكأنه العصر الذهبي بالنسبة لهم، والذي أدى في الوقت نفسه إلى تسريع أو تثبيط تطور العالم الفكري، وأثر بعمق على مبادئ تحديد هوية جيل كامل وأحدث تحولاً في تاريخ الثورة الجزائر [23].

3. دور المثقفين الفرنسيين في تنوير الرأي العام حول الحرب في الجزائري وتأثيرهم عليهم

1.3. انضواء المثقفين الفرنسيين في لجان ضد الحرب ومساهمة الإعلام ودور النشر في نشر أفكارهم

يرى جاك فرانسوا سيرينيلي أن تصرفات النخبة المثقفة تبين رغبتها في التخلص من متلازمة ميونيخ للصمت وهذا راجع لتأثير المقاومة عليهم، وهو ما كان يعني بالنسبة لمعارضي الحرب النضال من أجل الحرية، وبالنسبة للمؤيدين النضال من أجل الاستقلال الفرنسي في الجزائر[24]. ويعبر لوران شوارتز أحد المشاركين النشطين في أحداث تلك السنوات والذي يقدر أهمية احتجاجه ضد حرب الجزائر على أن المثقفون جميعًا كانوا معروفين في تلك اللحظة، كنا نصنع التاريخ ولقد أعدنا التفكير في الأحداث وأجبرنا الفرنسيين على التحدث علنا[25].

جاءت المعلومات الأولى عن وحدة المثقفين عام 1955 على صفحات صحيفة لوموند، التي ذكرت أن: "**الكثير منهم يتحدون في لجنة عمل ضد استمرار الحرب في شمال إفريقيا**" [26]، وفي العام نفسه نشأة في الجزائر عدة لجان للنضال من أجل السلام، مثل "**دائرة جانسون**"، و"**لجنة أعمال المثقفين ضد استمرار الحرب الجزائرية**"، إلخ....[27]. وفي جانفي 1956 بقاعة واغرام بباريس عقد لقاء مهيب نظمته هذه الأخيرة، رحب فيه أندري ماندوز بالمقاومة الجزائرية، وصرح جان بول سارت أن "**الاستعمار في طريقه إلى الزوال**" ومهمة المثقفين هي المساعدة من أجل تحرير الجزائريين والفرنسيين من الطغيان الاستعماري [28]. وفي عام 1956 اندلعت حملة واسعة من الاحتجاج ضد الحرب في وسائل الإعلام وعلى صفحات عدة جرائد مثل لوموند، لو تان مودرن، إسبريت، مرصد فرنسا، إكسبرس، باري ماتش، وعلى صفحات الجريدة الأخيرة، استخدمت كلمة "**الحرب**" لأول مرة فيما يتعلق بالجزائر في هذه الفترة.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

أصبحت العديد من دور النشر رموزا للنضال بالقلم ضد الحرب في الجزائر أمثال مينوي وسي وماسبيرو، وقد تم إنشاء هذه الأخيرة خصيصا لهذا الغرض، وكان سبب شهرتها كونها أول من نشرت كتاب حول الموضوع عام 1961 تحت عنوان "**ملعون العالم**" من تأليف مؤسسو نظرية "**الزنوجة**"، ومن المفكرين اللذين حملوا نفس الفكر ولهم إيديولوجية النضال ضد الاستعمار والانفصال عن الغرب ومن الذين ساهموا في كتابة بعض الكتب والمقالات حول الحرب والعنصرية الطبيب النفسي فرانز فانون، الذي يعود أصله إلى جزيرة مارتينيك بالبحر الكاريبي الذي وقف إلى جانب جبهة التحرير الوطني في نضالها منذ عام 1956. كما كان لمؤلف فلسفة الوجودية جون بول سارتر باع في هذا الموضوع وذلك منذ بداية عام 1957، أين بدأت المعلومات تخرج للعلن من خلال الصحافة حول التعذيب الذي استخدمه الجيش الفرنسي في الجزائر. وكذلك كتب وشهادات المجندين الشباب الذين أسسوا مجلة إكسبريس التي أصبحت "**القنبلة الموقوتة**" في فرنسا ومن أهم مؤسسي هذه المجلة جان جاك سيرفان شريبر وسيمونا[29]. ومن المجلات التي أثارة ضجة في الاوساط الحكومية والعامة مجلة "**باري ماتش**" التي تميزت بنشر الصور الكاشفة التي بسببها خضعت هذه المجلة لرقابة شديدة من قبل حكومات الجمهورية الرابعة. يمكن اعتبار منشوراتها كتبًا لا تقدر بثمن عن التاريخ الحديث، لأنه في منتصف الخمسينيات من القرن العشرين جمع المحررون معلومات عن حرب الجزائر في سلسلة من الأفلام الوثائقية، وألبومات الصور السنوية بعنوان "**تاريخ اليوم**" [30]. أيضا من الأحداث البارزة في تاريخ نضال النخبة المثقفة ضد الحرب في الجزائرية، نشر دار مينوي في عام 1958 كتابًا بعنوان "**السؤال**" من تأليف هنري علاق، عضو الحزب الشيوعي الجزائري، ورئيس تحرير مجلة الجزائر الجمهورية. في هذا الكتاب المؤلف يتحدث عن التعذيب الذي تعرض له وبقي عالقا في ذاكرته، الأمر الذي جعل المثقفين في نهاية المطاف لا يفكرون كثيرًا في الجيش الفرنسي، الذي لجأ إلى التعذيب بل في النظام الاجتماعي الذي سمح له بذلك[31].

2.3.ردود فعل النخبة الفرنسية على ممارسات الحكومة الفرنسية واشتداد الصراع بينهم

أثارت ممارسة التعذيب تساؤلات ليس فقط حول عجز السلطات عن تهدئة الوضع في الجزائر، ولكنها أثارت أيضاً تساؤلات حول الأساس القانوني للدولة الجمهورية. وكان من بين ممثلي النخبة المثقفة الذين أدانوا حرب الجزائر الكتاب والعلماء نذكر منهم: جان بول سارتر، فرنسوا مورياك، ريمون آرون، سيمون دي بوفوار، جان ماري دومينيك، جان كوكتو، بيير فيدال–نوكيه، جاك جوليارد، هنري مارين مارو وآخرون. نظرا لتأثير هذه النخبة على الرأي العام لجأت حكومات الجمهورية الرابعة مراراً وتكراراً إلى فرض عقوبات على أكثر المخبرين نشاطاً في الحرب بين المثقفين. على سبيل المثال، في بداية أبريل 1956 تم القبض على الصحفي الشاب في صحيفة إكسبرس كلود بوردي بسبب مقال افتتاحي تضمن احتجاجًا على إرسال فرقة عسكرية إلى الجزائر، كم داهمت الشرطة شقة البروفيسور هنري مارين مارو[32]. وبسبب الرقابة الصارمة تم إنشاء دور نشر جديدة بالتوازي مع دور النشر الوطنية المعروفة لفضح الحرب في الجزائر نذكر مثلا: دار النشر "**شهادة ووثائق**" التي صدر

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

العدد الأول منها في جوان 1958 تحت عنوان "**العدالة، الحرية**" والتي طبعت بطريقة غير شرعية "**باسم العدالة مقاومة جديدة**".

لكن تجدر الإشارة إلى أن النخبة الفكرية التي عارضت الحرب في الجزائر كانت تسترشد بمبادئ مختلفة. حسب التيار الذي ينتمون إليه، ولا يزال الخبراء الفرنسيون يعتمدون على التصنيف الذي اقترحه رؤول جيراريديت، حيث قام بتقسيم النخبة الفكرية المناهضة للاستعمار إلى أربع فئات نذكر منها: ذوو عقلية ثورية مثل جان بول سارتر الداعي للاحتجاج الأخلاقي من نوع دريفوسارد، وبيير فيدال-نوكيه حامل الفكر الديغولي[33]. علاوة على ذلك أثرت الحرب في الجزائر بشكل خاص على النخبة الفكرية اليسارية، حيث قسمها، بيير فيدال-نوكيه إلى "**بلاشفة، ودرايفوسارد، وثيرموندبين**" [34]. هو نفسه كان يكره غي موليه لدرجة أنه اعترف علنًا أنه شرب الشمبانيا بعد أن علم بوفاته.

منذ عام 1956، بدأت "**حرب العرائض**" كما سماها جاك فرنسوا سيرينيلي، في صفوف المثقفين والتي كما يعتقد أنها وضعت أسس الانقسام المستقبلي لليسار السياسي في فرنسا وخلقت الشروط المسبقة لنمو "**اليمين القومي الجديد**" [35]. وفي نفس العام تعارضت المواقف على "**المفاوضات**" أو "**السلام**"، ثم تحول النقاش لاحقاً نحو الحفاظ على الجزائر الفرنسية أو منحها الاستقلال. في عام 1960 بلغت الذروة أقصاها عندما **ظهر** "**البيان 121**" في صحيفة لوموند والذي دعا إلى جانب تصريحات حول الدعم الكامل للشعب الجزائري في النضال من أجل الحرية، إلى عصيان الجيش الفرنسي[36]. أما معارضو هذا "**البيان الفاضح**"، أي أنصار الجزائر الفرنسية ما زالوا يدينون تصرفات الحكومة حيث نشروا بيانهم الذي كان يضم حوالي 300 توقيع من المثقفين الفرنسيين، بما في ذلك المؤرخ الشهير ريمون آرون، الذي دافع عن الرأي القائل إن مهمة فرنسا نشر الحضارة في المستعمرات، حيث تمت في هذا البيان إدانة مؤلفي البيان 121 بشدة باعتبارهم محرضين على الفرار من الخدمة العسكرية وأطلق عليهم اسم الطابور الخامس الجزائري الذي يسعى إلى تشويه سمعة الجيش الفرنسي[37]. وينبغي التأكيد على أن المثقفين الشيوعيين لم يشاركوا تقريبا في "**حرب العرائض**"، وأصرت قيادة الحزب الشيوعي على عدم توقيع أعضائه على البيان 121، وكاد بعض أعضاء الحزب الشيوعي الذين شاركوا في هذا البيان أن يُطردوا من الحزب بسبب ذلك. وبطبيعة الحال، كانت السلطات تضطهد الشيوعيين أكثر من غيرهم، حيث اشتبهت في أن لهم صلات بالحزب الشيوعي الجزائري.

في الحديث عن دور النخبة المثقفة في معركتها ضد الحرب في الجزائر، تجدر الإشارة إلى الدور الخاص للطلاب، في مقدمتهم اتحاد الطلاب الشيوعي وطلاب الكاثوليك ذوي الميول اليساري المتحدين مع الشباب الطلابي المسيحي. حيث أصبح النضال ضد الحرب في الجزائر أول تجربة لأعمال التضامن التي قاموا بها هؤلاء الشباب. حيث شكلوا قوة سياسية جديدة ضد الحرب في الجزائر. ولم تكن الحركة اليسارية الشيوعية وحدها في الساحة السياسية المعرضة للحرب، بل ولدت أيضًا الاشتراكية المناهضة لـ غي موليه، المتجمعة حول ميشال روكار[38].

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

عند قرب نهاية الجمهورية الرابعة أصبحت الثورة الجزائرية مثيرة للقلق بشكل متزايد للمواطنين الفرنسيين. حيث بدأت المظاهرات والاحتجاجية منذ عام 1956 والتي كان ينظمها كل من المجندين والشباب، والحزب الشيوعي الفرنسي، والنقابة العمالية الموالية للشيوعية، وحركة السلام. وقد أثروا على 36 قسم إداري في فرنسا. كما ظهر للعلن التأثير الذي وصلت اليه هذه المظاهرات من خلال حالات الفرار من الجيش الفرنسي حيث من أصل مليون و200 ألف جندي 500 منهم فرو من الخدمة العسكرية خلال الحرب، وخير مثال على ذلك قضية المجند الشاب أ. ليستي المسجون لرفضه الذهاب إلى الجزائر حيث هزت قضيته الرأي العام الفرنسي في جميع أنحاء البلاد. كما تظهر استطلاعات الرأي أن عدد المؤيدين للجزائر الفرنسية آخذ بالانخفاض بشكل متزايد. حيث في أكتوبر 1955 كان هناك 47٪ من المواطنين المؤيدين لإبقاء الجزائر فرنسية، وفي فبراير 1956 ارتفع الى 49٪، ثم انخفضت النسبة في أبريل من نفس السنة إلى 40٪، وفي مارس وسبتمبر 1957 كانت النسبة بين 34٪ و36٪ على التوالي، على الرغم من أن غالبية الفرنسيين في عام 1957 والذين تبلغ نسبتهم 53٪ لم يفكر في مغادرة الجزائر، حيث أعربوا عن استيائهم من الطريقة التي تسير بها السلطات الفرنسية شؤونها في الجزائر. نفس السنة أي 1957 أعرب 26٪ فقط من المشاركين في الاستطلاع عن ثقتهم في الحكومة ويعتقدون أنه من الأفضل البدء فورًا في المفاوضات مع الثوار الجزائريين حتى لا يصبح الوضع في الجزائر أكثر خطورة. وفي الوقت نفسه نلاحظ أنه حتى بداية عام 1958 كانت القضية الجزائرية في المرتبة السادسة من حيث الأهمية لدى المواطنين الفرنسيين[39].

4. تطور مواقف الرأي العام الفرنسي تجاه الثورة الجزائرية وتأثيرها على الساحة السياسية الفرنسية

1.4. التحول في الرأي العام الفرنسي ودوره في إعادة ديغول للحكم

تغيرت مواقف الرأي العام بفرنسا تجاه الثورة الجزائرية بشكل كبير بعد أن قاد مجموعة من المتمردين الانقلابين تمردًا في الجزائر ضد السلطة القائمة بدعم من الجيش في 13 ماي 1958، والذي سرعان ما امتد إلى فرنسا. كما هو معروف، فإن الانقلابين عن حكومة الجمهورية الرابعة كانوا أول من طرح فكرة إعادة ديغول إلى السلطة، ثم التقطها السياسيون في العاصمة، ثم أصبح ديغول لفترة قصيرة آخر رئيس وزراء الجمهورية الرابعة. وفي استفتاء أجري في سبتمبر 1958 حصلت السلطة في فرنسا على موافقة 79.25 % من المواطنين لإنشاء جمهورية خامسة جديدة ويعيين شارل ديغول رئيس لها.

رغم النسبة الكبيرة التي صوتت لصالح ديغول الا أن الشيوعيون والعديد من ممثلي اليسار، بما في ذلك بيير مينديز فرانس وفرانسوا ميتران كانوا ضد تعيينه بسبب عدم موافقتهم على شروط وصوله إلى السلطة. وفي استطلاع جوان 1958 المتمحور حول دور الجيش في تعيين ديغول كان 55% من الفرنسيين يعتقدون أن الجيش لعب دوراً كبيرا خلال الانقلاب، ويعتقد 42% منهم أنه بفضل ذلك الجزائر ستظل فرنسية لمدة عشر سنوات أخرى. وبعد مرور عام أي سنة 1959 تغيرت المعطيات حيث صرح واحد من كل خمسة فرنسيين على أن الوضع في الجزائر يزداد سوء وأن الامور تتفاقم يوما بعد يوم، ولأول مرة منذ احتلال الجزائر أراد 71% من

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الفرنسيين التفاوض بشأن وقف إطلاق النار، وانتقلت القضية الجزائرية من المركز السادس إلى المركز الثاني من حيث الأهمية لدى الفرنسيين[40]. كما يؤكد الباحثون الفرنسيون أن بين 1956-1958 تحولت فرنسا إلى "**رجل مريض**" في الغرب ووجدت نفسها في عزلة دولية شبه كاملة بسبب حربها في الجزائر. كما يلاحظ أنه حتى حلفاؤها في الناتو لم يقفو معها كما كانوا في السابق، وما زاد الامور تعقيدا فشل كل جهود الدبلوماسية الفرنسية بين عامي 1955-1959 في إقناع الحلفاء والأصدقاء التقليديين بفكرة الجزائر الفرنسية.[41] بين كل ذلك، كتب شارل روبير اجيرو معبرا عن قرب نهاية الجزائر الفرنسية بقوله: لقد أدرك ديغول منذ زمن طويل أن جزائر آبائنا ماتت، ومن لم يدرك ذلك فليمت معها، وكل ما عليه الآن هو إقناع الفرنسيين والجزائريين والأمم المتحدة بهذا[42]. وبعد حكم ديغول لفرنسا من 1 يونيو 1958 حتى استفتاء تقرير المصير سنة 1962، اقتنع بفكرة استقلال الجزائر، ومن الجدير بالذكر أيضًا أن ديغول لم يقل أبدًا أن الجزائر هي فرنسا.

قرر ديغول البدء في جولة محليَّة، حيث قام ب 25 رحلة حول فرنسا خلال هذا الوقت، وخاطب في 84 مقاطعة ادارية. من بينها الزيارة التي قام بها ديغول إلى الجزائر كرئيس في عام 1959 التي اكتست أهمية كبيرة، نظير لقائه جزء من الشعب واستمع إلى انشغالاتهم ونطق بعبارته الشهيرة: "**أنا أفهمكم**"[43]، هذه العبارة التي فهمت بمعنيين فلدى المتمردين الانقلابين أنشأ عندهم أمل بأن الجمهورية الجديدة ستقاتل حتى النهاية من أجل الجزائر الفرنسية، وعلى العكس من ذلك، يؤمن الثوار الجزائريون بالتحرر السريع من الفرنسيين.

2.4.قضية تقرير مصير الجزائر ودورها في ظهور معارضو ديغول

تطورت الأحداث السياسية بسرعة فبعد عودته من الجزائر بفترة قصير قام بزيارات إلى بولوني سور مير وكامبراي يومي 24 و26 سبتمبر على التوالي، تحدث ديغول على قضية تقرير مصير الجزائر، واقترح الاستفتاء على القضية. منذ تلك اللحظة أصبح الوضع في فرنسا أكثر توتراً؛ وبعدها تشكلت معارضة من أنصار الجزائر الفرنسية ضد شارل ديغول، كان في طليعة المعرضين من اليمين المتطرف جاكويس ايسورنى وجين لويس تيكسير فيجنانكور، الذين أنشأوا "**الجبهة الجزائرية الفرنسية**". مع ذلك فقد تم التعبير أيضًا عن وجهات نظر معارضة من قبل العديد من رفاق الرئيس في حزب اتحاد الدفاع عن الجمهورية (UNR)، الذي أنشأ إبان الجمهورية الخامسة، ومثال ذلك رئيس وزرائه ميشال دوبريه. كما برز في المعارضة بشكل خاص "**الفرسان الأربعة**": جورج بيدو، أ. موريس، روجير دوشيت، جاك سوستيل. وعلى الرغم من دعم بعض الأحزاب لديغول عام 1959، إلا أن المركز الوطني للخدمة العسكرية كان أكثر معارضة له بسبب سياسته تجاه الجزائر، لكن السنوات الأربع التي حكم فيها ديغول كانت كافية لإنهاء الحرب في الجزائر، واسكات أعضاء المركز الوطني للخدمة العسكرية وفقا لما صرح به أحد المؤرخين الفرنسيين[44].

لقد وضعت المعارضة المناهضة للديغولية، الفرنسيين تحت اختبار صعب: إما ديغول أو الجزائر الفرنسية. أظهر استطلاع لسكان العاصمة الفرنسية في أكتوبر 1959 أن حوالي 39٪ منهم لا يتمنون هذه البدائل، و26٪ يفضلون ديغول و4٪ فقط يفضلون الجزائر الفرنسية. علاوة على ذلك، وافق 57% من المستطلعين على إدراج

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

جبهة التحرير الوطني الجزائرية ضمن المشاركين في المفاوضات. وفي باريس نفسها وافق على بقاء ديغول 54% من المواطنين و17% لم يوافقوا عليه. [45] وعلى هذا فإن أغلبية المواطنين الفرنسيين لم يكون راغبين في الانزلاق إلى مواقف "**المتمردين**". لكن في هذه الفترة كان الوضع مختلفاً في المقاطعات الجزائرية، فهناك من الفرنسيون من اعتبر تصريح ديغول خيانة لهم، كما دعا بعض السياسيين الجيش إلى الوقوف ضد رئيس الجمهورية شارل ديغول، ومن بين القيادة العسكرية الذين كانوا مستعدون لتحمل المسؤولية جاك ماسو وراؤول سالان وغيرهما. ومن 24 يناير إلى 1 فبراير 1960، نظم مؤيدو الجزائر الفرنسية "**أسبوع المتاريس**" في الجزائر احتجاجا على السلطات الباريسية. ووصف ديغول هذه المظاهرات بأنها "**أسوأ ضربة لفرنسا**" ونجح في وقفها، وبالتالي عزز سلطته في البلاد بشكل كبير. وبعد استطلاع الرأي العام الفرنسي حول هذه المظاهرات وصف 69% من الفرنسيين "**أسبوع المتاريس**" بأنه مؤامرة، و14% مظاهرات بسيطة في الشوارع، وبشكل عام، حظي الرئيس ديغول في فبراير 1960 بدعم 75% من المواطنين له[46].

أثارت اختيارات الفرنسيين المقيمين بالجزائر سخطًا بين الفرنسيين القاطنين بفرنسا، ويتجلى ذلك في استطلاع الرأي لعام 1959 اذ أن حوالي 38% من السكان أعلنوا تضامنهم أو على العكس من ذلك عدم اهتمامهم بمصير المواطنين بالجزائر و24% لم يعبروا عن أي موقف، ثم في عام 1960 وافق 15% فقط من المستطلعين على وجود "**الجزائريين**"، 29% رفضوا ذلك إلى حد ما و41% رفضوه بشدة، وإجمالا 64% من الفرنسيين وجدوا أن فكرة ديغول حول "**جزائر جزائرية مرتبطة بفرنسا**" أنها فكرة مناسبة لحل هذه القضية[47]. لذلك عندما طرح مسألة تقرير مصير الجزائر في استفتاء في 8 يناير 1961، أيد 75.26% من سكان فرنسا رئيسهم، بينما قال 72% من الفرنسيين الساكنين بالجزائر "**لا**". وتشير استطلاعات الرأي إلى أنه بحلول ربيع عام 1961، كان 78% من المواطنين إيجابيين بشأن فكرة المفاوضات مع جبهة التحرير الوطني، مع ثقة 69% من أن الجزائر سوف تصبح مستقلة، لكن 50% من الفريق الثاني كانوا يأملون في قيام دولة جزائرية مستقلة، للحفاظ على العلاقات مع فرنسا[48]. ومع ذلك كلما زاد دعم الشعب الفرنسي لسياسة ديغول في الجزائر، كلما عارضها "**المتطرفون**" بشكل عنيف. حيث شكل أنصار اليمين المتطرف للجزائر الفرنسية "**المنظمة المسلحة السرية (SOA) في فبراير 1961، وأعطوها هذا الاسم على وجه التحديد، قياسًا على "الجيش السري لجيش فيشي العسكري**"، الذي كان موجودة خلال سنوات احتلال النازيين لفرنسا. في صيف عام 1962 رغم حصول الجزائر على استقلالها، إلا أن هذه المنظمة واصلت محاربة ديغول، كدليل على ذلك أضافوا الى تسمية "**المجلس الوطني للمقاومة**" الذي أنشأ حديثا اسم المنظمة المسلحة السرية وتحول إلى المجلس الوطني للمقاومة المسلحة السرية.

كان للمنظمة المسلحة السرية في البداية الكثير من المتعاطفين في الجزائر وفرنسا، خاصة بين الفرنسيين الجزائريين، الذين صدمتهم فكرة تقرير مصير الجزائر وشعورهم بأن الرئيس قد تخلى عنهم. نظمت المنظمة السرية المسلحة انقلابا في الجزائر في 22 أبريل 1961، والعديد من محاولات الاغتيال في فرنسا والجزائر، بما في ذلك المحاولات المتكررة لاغتيال ديغول لكنها باءت بالفشل. وقد بلغت ذروة أنشطتهم الإرهابية في ربيع عام

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

1962 خلال مفاوضات استقلال الجزائر التي عقدت في إيفيان[49]. كما تظهر استطلاعات الرأي فان تصرفات المنظمة المسلحة السرية، لم تسفر إلا عن زيادة شعبية شارل ديغول. على سبيل المثال، طالب 30% من المواطنين بعقوبة الإعدام للانقلابين في جانفي 1962، 53% منهم لم يتضامنوا مع الفرنسيين المقيمين بالجزائر. وفي استفتاء 8 أبريل من نفس السنة، وافق 90.7% من المواطنين على سياسة رئيسهم وكانوا يؤيدون استقلال للجزائر[50]. ويرى الباحثون الفرنسيون بالإجماع أن ميزة ديغول هي أنه في السياسة الجزائرية لم يأخذ في الاعتبار رأي النخبة السياسية، بل رأي الشعب الفرنسي، "**الذي بدأ يعاني من أزمة أخلاقية فيما يتعلق بالحرب الجزائرية منذ 1956**". وبحلول عام 1960 أدرك أن "**الجزائر أصبحت عبئاً ثقيلاً**" **على البلاد** [51]. **ونظرا لأهمية نتائج الاستفتاء على اتفاقيات إيفيان أطلقوا عليها وصف** "**ذروة التمركز حول الذات**" [52]، وقد وصف جورج مارك بنعمون الجزائر بأنها "**أطلنتس فرنسا**" [53].

3.4. تأثير استقلال الجزائر على فرنسا والفرنسيين وعلاقتهم بالجزائر

بعد حصول الجزائر على الاستقلال، بدأ أفواج النازحين من "**الأقدام السوداء**". حيث عاد منهم إلى فرنسا 800 ألف، وكانت بداية تواجدهم بفرنسا وتكيفهم فيها صعبة للغاية. بالإضافة إلى ذلك، لم يستقبل سكان فرنسا لمواطنيهم العائدون من الجزائر بحرارة كما كان منتظرا. ووفقا للاستطلاعات أوت 1961 كان غالبية الفرنسيين مقتنعين باستحالة بقائهم في الجزائر، لكن في الوقت نفسه 69٪ من المشاركين رفضوا دفع ضرائب إضافية لدعمهم. في سبتمبر 1962 يعتقد 36% من المواطنين أن المساعدة المقدمة إلى منظمة الاقدام السوداء كافية، و31% يعتقدون أنها مبالغ فيها، و12% فقط يعتقدون أنها غير كافية [54]. وكان مصير ما يسمى بالحركى، أي الجزائريين المسلمين الذين خدموا في الجيش الفرنسي صعبا بشكل خاص، حيث ظل الحديث عن تاريخهم من المحظورات في فرنسا ولم يصبح موضوعًا لدراسة خاصة إلا في السنوات القليلة الماضية[55].

الملاحظ أنه حتى عام 1983، لم يتم تدريس حرب الجزائر على الإطلاق في المدارس الفرنسية. فقط في نهاية القرن العشرين، أين اقترح عالم الاجتماع الفرنسي الشهير ريجيس دوبريه، المقرب من الرئيس ميتران آنذاك إعادة التفكير في هذه الفكرة وملاءمتها للسياق العالمي للعلاقة بين العالم الإسلامي في الشرق الأوسط والبحر الأبيض المتوسط وبين العالم الأوروبي. بعد مرور 10 سنوات من الرد على خطاب ريجيس دوبريه، بدأ التقارب السياسي بين البلدين في عهد الرئيس التالي للجمهورية الخامسة، جاك شيراك، وتحديدا بزيارة وزير الخارجية هوبير فيدرين إلى الجزائر في عام 1999. وتلا ذلك زيارة الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة إلى فرنسا في شهر جوان سنة 2000، كما قام جاك شيراك بزيارة هو الاخر إلى الجزائر في ديسمبر 2001.

في أفريل 2004 بعد إعادة انتخاب بوتفليقة وعلى خلفية تحسن العلاقات الثنائية، تم التوقيع على إعلان "**حول شراكة خاصة**". أما إبرام معاهدة الصداقة فقد تأجلت بسبب مطالبة الجزائر من الجانب فرنسا الاعتراف بجرائمها. في 19 و20 ديسمبر 2012 قام الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند بزيارة الجزائر. وفي حديثه أمام البرلمانيين الجزائريين في 20 ديسمبر، تحدث هولاند عن معاناة الشعب الجزائري من ويلات الاستعمار، وذكر

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

أن المجازر في سطيف وقالمة متجذرة بعمق في الذاكرة التاريخية ووعي الجزائريين، وشدد على أن النظام الاستعماري ظالم وقاس. ومع ذلك، لم يتم التلفظ بكلمات الاعتذار من جانب فرنسا هذه المرة. وأكد رئيس الدولة الفرنسية أنه جاء من أجل مستقبل البلدين. **فهل يمكن التصديق أن أصداء هذه "الحرب الفرنسية –الفرنسية" قد اختفت تماماً من المجتمع الفرنسي؟** يبدو أنه من المستحيل إعطاء إجابة إيجابية على هذا السؤال، وهو ما تؤكده استطلاعات الرأي العام التي تجرى بانتظام في فرنسا. على سبيل المثال، وفقا للبيانات الأخيرة، فإن 26% فقط من الفرنسيين لديهم وجهة نظر إيجابية تجاه الجزائر[56].

خاتمة

وفي الختام، تود المؤرخة أن تؤكد على أهمية الحرب الجزائرية وما يرتبط بها من التغلب على الماضي، والذي يتجاوز بكثير حدود العلاقات الثنائية بين الدول .علاوة على ذلك، لا ينبغي للعلماء فحسب، بل للسياسيين أيضًا أن يأخذوا ذلك في الاعتبار. لن يكون من المبالغة القول إن هناك مشاكل حادة اليوم، تشبه مثلتها قبل ستين عاما، مثل تأثير المثقفين والرأي العام على آلية اتخاذ القرارات السياسية من قبل السلطات، وقضايا الهوية الوطنية والوعي الذاتي الوطني؛ كل هذا له أهمية بالغة في تحديد الذاكرة التاريخية الجماعية وتأثيرها على العلاقات بين مختلف البلدان والشعوب.

الهوامش:

1 Jean-Pierre Rioux (1990), **La guerre d'Algérie et les Français**, Fayard, Paris, P. 161, 184.
2 Marc Ferro (2003). **Le Livre noir du colonialism**, Robert Laffont, Paris, P. 23.
3 Mohamed Habri, Benjamin Stora (2004), **La guerre d'Algérie**. 1954–2004. La fin de l'amnésie, Paris, P. 267–268.
4 Michéle Baussant (2002), **Pieds-Noirs, Mémoires d'exil**. Paris, P. 396–411.
5 Jean-Charles Jauffret (2003**), Les hommes et les femmes en guerre d'Algérie**, Paris, P. 573.
6 Ibid, Mohamed Habri, Benjamin Stora, P. 269.
7 Journal Officiel (1954), **Assemblée Nationale**, Débats parlementaires, P. 4961, 4967.
8 Serge Berstein, Pierre Milza (1995), **Histoire de la France au XX-e siècle**, Bruxelles, P. 823.
9 Journal Officiel (1955), **Assemblée Nationale**, Débats parlementaires. P. 1768.
10 Ibid: Mohamed Habri, Benjamin Stora, P. 609.
11 Georges-Marc Benamon (2003), **Un mensonge français,** Retour sur la guerre d'Algérie. Paris, P. 106.
12 Ibid, Jean-Pierre Rioux, La guerre d'Algérie et les Français, P. 16.
13 Ibid, P. 112, 589.
14 Ibid, Georges-Marc Benamon, Un mensonge français, P. 142.
15 Ibid, P. 239.
16 Sondages (1956), № 3, P. 3–4.
17 Marc Sadoun (1990), **Les socialistes entre principes, pouvoir et mémoire**, La guerre d'Algérie et les français, Fayard, Paris, P. 225.
18 Jean-François Sirinelli (1991), **Les intellectuels français en guerre d'Algérie**, La guerre d'Algérie et les intellectuels français, Bruxelles, P. 20.
19 Pierre Mendès-France (1986), **Œuvres completes**, Gouverner, c'est choisir, Paris, Vol. 3, P. 466–468.
20 Ibid, Jean-Pierre Rioux, La guerre d'Algérie et les Français, P. 205.
21 Ibid, P. 206.
22 Ibid, P. 25.
23 Ibid, Jean-François Sirinelli, La guerre d'Algérie et les intellectuels français,P. 11, 28, 34, 279.
24 Ibid. P. 21–22.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

25 Ibid, P. 212.
26 Le Monde (1955), P. 6–7 novembre.
27 Ibid, Jean-François Sirinelli, La guerre d'Algérie et les intellectuels français, P. 206.
28 Ibid, P. 276.
29 Jean-Jacques Servan-Schreiber, Simon Pierre Henri (1957), Lieutenant en Algérie, Contre la torture, Paris, P. 1957.
30 Marie Chominot (novembre 1954 – juillet 1956), Le "film" de la guerre d'Algérie dans l'hebdomadaire illustré Paris, Mohamed Harbi, Benjamine Stora. Op. cit. P. 578–579.
31 Ibid, Jean-François Sirinelli, La guerre d'Algérie et les intellectuels français, P. 226, 238.
32 Ibid, Jean-Pierre Rioux, La guerre d'Algérie et les Français, P. 16, Jean-François Sirinelli, La guerre d'Algérie et les intellectuels français, P. 97.
33 Raoul Girardet (1972), **L'idée coloniale en France de 1871 à 1962**. Paris, P. 298.Ibid, Jean-François Sirinelli, La guerre d'Algérie et les intellectuels français, P.17. Ibid, Georges-Marc Benamon, Un mensonge français, P. 114.
34 Ibid, Jean-François Sirinelli, La guerre d'Algérie et les intellectuels français, P. 193.
35 Ibid, Jean-François Sirinelli, La guerre d'Algérie et les intellectuels français, P. 264, 278, 294.
36 Le Monde (1960), 6 septembre.
37 Le Carrefour (1960), 12 octobre.
38 Ibid, Jean-François Sirinelli, La guerre d'Algérie et les intellectuels français, P. 175–185.
39 Sondages (1955), № 3, P. 3, (1956), № 1, P. 4, № 2, P. 4, (1957), № 1, P. 5, № 3, P. 3–5, (1958), № 1, P. 3.
40 Sondages (1958), № 2, P. 2, (1959), № 1, P. 4, № 2, P. 3.
41 Ibid, Jean-Pierre Rioux, La guerre d'Algérie et les Français, P. 622.
42 Charles-Robert Ageron (1990), L'opinion française à travers les sondages, La guerre d'Algérie et les français. P. 34.
43 Ibid, Jean-Pierre Rioux, La guerre d'Algérie et les Français, P. 190.
44 Billard Thierry (1990), **Illusions et incohérences des indépendants**, La guerre d'Algérie et les français, P. 222.
45 Sondages. 1959. № 4. P. 4, 7.
46 Sondages. 1960. № 1. P. 2.
47 Sondages. 1959. № 2. P. 6; 1960. № 1. P. 3–4.
48 Sondages. 1961. № 1. P. 3; № 2. P. 5.
49 Pour plus d'informations sur les activités de l'OEA, ainsi que sur la manière dont la question de l'indépendance algérienne a été résolue, voir: Cherkasov Petr Petrovich (1985), Effondrement de l'empire colonial français. Moscou, C'est lui. L'agonie de l'Empire (Crises politiques, coups d'État militaro-colonialistes et complots en France pendant la guerre d'Algérie de 1954-1962, Moscou, (1979). Ibid, Jean-Pierre Rioux, La guerre d'Algérie et les Français, P. 216, Mohamed Harbi, Benjamin Stora. op. cit. P. 175-177, 179-180.
50 Sondages (1961), № 2, P. 5, (1962), № 2. P. 3–5.
51 Ibid, Jean-Pierre Rioux, La guerre d'Algérie et les Français, P. 39, 196, 583.
52 Ibid, P. 39, 196, 583.
53 Ibid, Georges-Marc Benamon, Un mensonge français, P. 55.
54 Sondages (1961), № 3, P. 6, (1962), № 3, P. 7.
55 Mohand Hamoumou, Moumen Abderahmen (2004), **L'histoire des harkis et Français musulmans : la fin d'un tabou**, dans Mohammed Harbi et Benjamin Stora (dir.), La Guerre d'Algérie : 1954–2004, la fin de l'amnésie, Paris, Éditions Robert Laffont, 2004, 728 p. (ISBN 2221100247 et 9782221100240, OCLC 55957725), p. 317-340.
56 Jérôme Fourquet, Seuls 26 % des Français ont une bonne image de l'Algérie contre 71 % du Maroc et 53 % de la Tunisie [Ressource électronique], Atlantico. URL: http://www.atlantico.fr/decryptage/seuls-26-francais-ont-bonne-image-algerie-contre-71-maroc-et-53-tunisie-ifop-jerome-fourquet-579187.html (Date de consultation: 23.03.2014).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)